المحاضرة الرابعة: علم اجتماع الاتصال

تمهيد:

إذا كان الانسان اجتماعي بطبعه فهو يحبذ أن يكون مع غيره وأن يعمل معهم وأن يعيش في وسط الجماعة، بالتالي فإن الانسان يكون مدفوع للاتصال مع غيره، فالشرط الأساسي لظهور العلاقات والاتصال هو وجود الجماعة أو المجموعة ويحدث في إطار هذه الجماعة الاتصال الذاتي والشخصي والاتصال الجمعي والجماهيري، ويعتبر الاتصال جزء لا يتجزأ من النسق الاجتماعي الكلي، فهو يؤثر على المجتمع: مؤسساته، أفراده، ... ولهذا يعتبر علم الاجتماع الاتصال من أهم ميادين علم الاجتماع لأنه يعالج جميع الظواهر الاتصالية باعتبارها تؤثر على التضامن الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية للأفراد. وهذا ما سنتطرق اليه بشيء من التفصيل في هذه المحاضرة.

أولا: نشأة علم اجتماع الاتصال

خلال فترة الاربعينيات وبداية الخمسينيات ازدهرت وسائل الاعلام والاتصال بفضل مدرسة كلومبيا، التي وضعت الأسس لعلم اجتماع الاتصال والذي تطور وانتشر بفضل فنيين ولازاسيلفد وغيرهم، وبعدها انتشرت اسهامات علم الاجتماع الاتصالي في كل من النمسا وألمانيا وبريطانيا وخصوصا في فترة القرن العشرين بحيث تميزت بموجة من التغييرات والتطورات من بينها التنوع في وسائل الاتصال الجماهيرية كالتلفزيون، الراديو، الصحافة وغيرها، وهذا مما أدى لبروز مفاهيم ومصطلحات ناتجة عن عملية تفاعل المجتمع بهذه الوسائل، ولكن هناك نوع من التمايز الثقافي والأيديولوجي لكل مجتمع، إن الثروات الضخمة التي شهدها القرن 20 في مجالات عديدة منها الصناعة التقنية والاعلام الآلي تركت بصماتها وآثارها في المجتمع ككل وأفراد العلاقات الاجتماعية، وهذا ما أدى إلى ظهور فروع جديدة من علم الاجتماع، وبفضل هذه العمليات الاتصالية التي تجري في المجتمع وبواسطتها اكتسب الناس ثقافة معينة. [1]

([1]) قباري محمد إسماعيل، **علم الاجتماع الجماهيري وبناء الاتصال**، دار منشأة المعارف للنشر، مصر، 1978، ص 375.

ثانيا: تعريف علم الاجتماع الاتصال

1- يعرفه شارلز كولي على أنه: الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور من خلال علم الاجتماع الاتصال.

2- ويعرفونه علماء الاجتماع على أنه ظاهرة اجتماعية وقوة رابطة لها، ولها دور في ترابط والتناسق الاجتماعي حتى أننا نجد أن القرآن الكريم يحثنا على التواصل ويظهر ذلك جلية في الآية 13 من سورة الحجرات. [1]

3- تعريف علم الاجتماع الاتصال الاجرائي: وهو العلم الذي يدرس أثر وسائل الاتصال الجماهيري ومختلف أنواع وأنماط الاتصال على المجتمع وعلى ما تحدثه من تغيير اجتماعي وثقافي وكذا أثرها على مختلف النظم والعمليات الاجتماعية.

4- ويعرفونه باللغة الإنجليزية على أنه مشتق من الكلمة اللاتينية "Communis" وتعني مشترك واشتراك، ويعرف على أنه أيضا عملية اشتراك ومشاركة في المعنى من خلال التفاعل الرمزي، فالاتصال بذلك عملية تتميز بالاستمرارية تحدث بين عدة أطراف تجمعهم أشياء مشتركة تعمل من عملية تفاعلهم. [2]

ثالثا: الفرق بين الاعلام والاتصال وعلم الاجتماع:

قد يتداخل مفهوم الاتصال مع مفهوم الاعلام ويعني هذا الأخير من الناحية اللغوية "نقل الخير" وهو نفس المعنى الذي يطلقه العلماء على عملية الاعلام حيث يقول عبد اللطيف حمزة في هذا الصدد. [3]

"الاعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحفية والملموسة السليمة والحقائق الثابتة" وهو قبل كل شيء رسالة إنسانية لها وسائل وآثار وبساطة يمكن القول أن الاعلام هو الموصل الجيد

([1]) محمد السيد فهمي، **تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997.

([2]) سامية محمد، **الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص ص 42-43.

([3]) حربي سميرة، نفس المرجع السابق، ص80

للعلم والمعرفة والخبر والحقيقة وتبرز أهميته في الأحداث الكبيرة التي تؤثر بوضوح في حياة البشر، وعرف خبراء الاعلام بأنه تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من وقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم ويعرف الاعلام أيضا بأنه عملية تعبر عن ظاهرة الاتصال الواسع باعتبارها اجلاء من جانب واحد لا يعبر عن التفاعل والمشاركة وهذا عكس الاتصال الذي يعني التفاعل والمشاركة فهو أوجه النشاطات الاتصالية الهادفة لتزويد الجمهور بكافة المعلومات والحقائق الواقعية الصحيحة قصد خلق أكبر درجة من المعرفة والوعي والادراك للفئات المتلقية للمادة حول كل القضايا والموضوعات.

يظهر الفرق بين الاعلام والاتصال في أن هذا الأخير يقتضي عودة المعلومة من المستقبل إلى الرسالة إلى مرسلها الأول، أي أن الاتصال يتم في اتجاهين أما الاعلام فهو لا يتطلب عودة تلك المعلومة لأن مستقبل الرسالة غير محدد وواضح، أي يأخذ مسار اتجاه واحد، فالإعلام بذلك هو شكل من أشكال الاتصال وجزء منه، وعليه يكون الاتصال بمعناه الواسع شامل للإعلام ويس العكس.

على الرغم من ذلك فإن الاعلام مفهوم عصري ينطبق خاصة على عملية الاتصال التي تستعمل الوسائل العصرية من صحافة وإذاعة وتلفزة. [1]

لهذا يمكن حصر الاعلام في العملية الاتصالية التي تم بواسطة الاتصال الجماهيري من صحافة وتلفزة وإذاعة موجهة إلى جمهور يصعب تحديده.

فالإعلام إذا يستعين بوسائل الاتصال الجماهيري لنقل الرسائل، أما الاتصال فيشمل إلى جانب وسائل الاتصال الجماهيري وسائل الاتصال الشخصي.

وعلم الاجتماع هو الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي للأفراد على حد سواء والأساليب التي ينتظم بها المجتمع باتباع خطوات المنهج العلمي، وهو توجه أكاديمي جديد نسبيا تطور في أوائل القرن التاسع عشر ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس، ليس فقط كأفراد لكن كأعضاء جمعيات ومجموعات ومؤسسات. [2]

([1]) راكان عبد الكريم حبيب وآخرون، **مقدمة وسائل الاتصال**، ط1، مكتبة دار نهران للنشر والتوزيع، جدة، 2001.

([2]) حربي سميرة، نفس المرجع السابق، ص ص81-82

ويرى علماء الاجتماع أن الاتصال ظاهرة اجتماعية لها دور في تماسك المجتمع وأيضا لها دورها في بناء العلاقات الاجتماعية، الشيء الذي يوضح أن المجتمع الإنساني يقوم على مجموعة من العلاقات قوامها وأساسها الاتصال وأن ما يجمع بين أفراد المجتمع هي حقيقة علاقات الاتصال التي هي ضرورة من ضرورات سيرورة الحياة الاجتماعية.

كما يمكننا أن نوضح العلاقة التي تجمع بين علم الاجتماع والاتصال في كون علم الاجتماع يقوم بدراسة الظواهر الاجتماعية التي تؤثر في وسائل الاتصال داخل البيئة الاجتماعية، فالعلاقة الأساسية التي تجمع بين علم الاجتماع والاتصال تكمن في أن الاتصال ووسائله عبارة عن ظاهرة من الظواهر الاجتماعية وعلم الاجتماع مسؤول لا محالة على دراستها وتفسيرها.

رابعا: موضوع علم الاجتماع الاتصال

يدرس علم الاجتماع الاتصال أثر وسائل الاتصال الجماهيري ومختلف أنماط الاتصال على المجتمع: من تغير اجتماعي وثقافي، وعلم الاجتماع الاتصال ليس حديث فقد استخدمه الأوائل خاصة "تشارلز وكولي وجون دوي" ويعتبرانه بأنه عملية اجتماعية تستقل بها الأفكار والمعلومات بين أفراد المجتمع وأنه عملية تفاعل بين فردين وضرورة اجتماعية لتحقيق التكامل الاجتماعي من خلال التفاعل الرمزي وتتميز بالانتشار في المكان والزمان ومنه أخذت عملية الاتصال الإنساني أهمية خاصة في العلوم السيسيولوجية[1]، لأن علم الاجتماع الاتصال يعتبر من الموضوعات التي شكلت بؤرة اهتمام الباحث والدارسين في مجالات علمية مختلفة ومتنوعة، وهذا ما جعله يأخذ معاني مختلفة كما يظهر من خلال التعريف أن الاتصال يشتمل على التأثير والتأثر والذي يعني في الحقيقة وجود تفاعل بين طرفين، يتجسد بشكل عملي في عمليتي التوزيع والتفاوض، ويضاف إلى ذلك أن للاتصال القنوات المستعملة كالرموز والكلمات والصور وغيرها بغية احداث التغير أو التعديل للسلوك المستهدف، ومن خلال هذا الكلام كله نجد أن اعتبار الاتصال عملية مقصودة وهو بذلك لا يتناسب وطبيعة الانسان الذي يجد نفسه مدفوعا للتفاعل المستمر مع غيره، ومن ثم يكون في حالة اتصال مع من يسعى للتفاعل معهم.[2]

([1]) دليو فضيل، **اتصال المؤسسة**، دار الفجر للنشر، القاهرة، 2003، ص 18.

([2]) بلقاسم بن روان، **وسائل الاعلام والمجتمع**، دار الابعاد والسياسة الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 17.

خامسا: أهمية علم الاجتماع الاتصال وخصائصه

1-أهمية علم اجتماع الاتصال:

أ- التعارف بين أفراد المجتمع والله تعالى حثنا على ذلك ويظهر قوله جلية.

ب- انتشار المعرفة والمعلومات بين أفراد المجتمع في أنحاء العالم ككل.

ج-سهلت على المجتمع معرفة الأخبار والأحداث العالمية والمحلية والدولية في نفس اللحظة من حدوثها.

د- ساعدت على نشر المعارف بوسائل تعليمية بسيطة، بحيث يتمكن أي شخص يملك شبكة انترنت من التعلم في جميع المجالات. [1]

2-خصائص علم الاجتماع الاتصال:

علم الاجتماع الاتصال يتسم بالديناميكية حيث يرتبط بتغير المجتمع ونظمه وهناك علاقة بين الاتصال والظواهر الاجتماعية، ويظهر ذلك في عملية نقل الأفكار والحقائق والعواطف والايماءات والرموز بين المرسل والمستقبل.

أ- يتضمن أهداف تتمثل في تحقيق غايات اجتماعية بالأنماط الثقافية والوطنية والحضارة كما ترتبط بالتنظيم الاجتماعي ككل.

ب- يهدف أساسا إلى التفاهم بين أفراد المجتمع.

ج-يشمل كل العلاقات الإنسانية وهو موجود في جميع المستويات الإدارية الرسمية وغير رسمية.

د- قابل للتطور والنمو لأفراد المجتمع عبر وسائل الاتصال.

يتأثر من خلاله كل عنصر بالآخر، حيث أن جودة قناة الاتصال بالمجتمع ستؤثر على الرسالة التي يتلقاها المستلم. [2]

([1]) عماد فاروق محمد صالح، **الاتصال الانساني في الخدمة الاجتماعية**. دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة، 2010، ص 148.

([2]) بلقاسم بن روان، نفس المرجع السابق، ص17.

سادسا: رواد علم اجتماع الاتصال

1- **أوغست كونت (1798-1857):** حدد أوغست كونت موضوع علم الاجتماع في دراسة المجتمع وهو عبارة عن الترجمة الحرفية للكلمة الإنجليزية sociology وتعني علم دراسة المجتمع ومن ثم تقوم لنا تعريف أولي لعلم الاجتماع وموضوعه أو الدراسة العلمية للمجتمع، استعيد كونت الفرد كوحدة للتحليل، وأكد أن الجماعة تعد الوحدة الاجتماعية التحليلية ورأى أن الفرد لديه ميل تلقائي للمشاركة الاجتماعية، ويؤكد ما ذهب إليه كونت على أن الفرد كائن اتصالي بطبعه مادام لديه ميل طبيعي للمشاركة، لأن الاتصال يعني المشاركة ومن ثم فإن مشاركة الفرد للآخرين تعد حاجة اجتماعية ضرورية أيا كانت تلك الجماعات، كجماعة الأصدقاء، جماعة العمل، جماعة الأسرة.[1]

2- **كارل ماركس (1818-1883):** رأى ماركس أن البناء التحتي عاملا أساسيا في الإنتاج المادي والاجتماعي والثقافي، وأن وسائل الاتصال احدى مكونات البناء الفوقي تعتمد عليها الطبقة الحاكمة في تزييف وعي الجماهير وتشكيله وفقا للوجهة المرغوب فيها بجانب المؤسسات التعليمية الأخرى، كوسائط للهيمنة الأيديولوجية وتقديم تبريرات لتحقيق مزيد من السيطرة على الطبقات الأخرى، ويؤكد ماركس أن وسائل الاتصال تلعب دورا كبيرا في حياتنا ومن ثم فهي تساعد في تشكيل وعينا.

3- **لازاسيلفد:** قدم لازاسيلفد بحث عن وسائل الاتصال الجماهيري وعلاقتها بالمشكلات الاجتماعية، ورأى أن مستقبل الديمقراطية مرهون بالقدرة على إيجاد طرق جديدة للتعبير عن الرأي وتوصيل المعلومات، وأن استخدام وسائل الاتصال يعد بؤرة اهتمام أساسية للبحث الاجتماعي واهتم في دراسة "الاختيار الشعبي" بتأثير الإذاعة والصحافة المطبوعة على أساس الحملة الرئاسية عام 1940 بدور وسائل الاتصال في تغيير آراء الناس وسلوكهم، وفي التغير الاجتماعي، كما اهتم بدراسة قضايا سوسيولوجية كالرأي العام، والنظام الاجتماعي.

4- **هربرت هايمان:** اهتم بدراسة العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري والرأي العام والتنشئة الاجتماعية بجانب اهتمامه بدراسة التطبيقات السوسيولوجية والسيكولوجية لوسائل

([1]) أحمد مجدي حجازي، **علم اجتماع الأزمة**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، 1998، ص ص 68-69.

الاتصال، كما اهتم بالاتصال الشخصي والجمعي وأثرهما على قضايا الرأي العام والتغير الاجتماعي.

5- هارولد لازوير: أحد علماء السياسة، درس في جامعة شيكاغو، وعمل معلما بها لعدة سنوات، وبجامعة "بل" حاول تحديد ماهية علمية الاتصال من خلال نموذجه وهو عبارة عن خمس أسئلة: من يقول؟ ماذا يقول؟ بأية وسيلة؟ لمن؟ وبأي تأثير؟

6- ايميل دوركايم (1858-1917): نظر دوركايم إلى وسائل الاعلام على أنها منظمات اجتماعية وتعد مركزا للقوة والمحافظة على المجتمع، فالمجتمع من وجهة نظر دوركايم قادر على الحفاظ على تماسكه في مواجهة أي تغيرات أو صراعات أو نقائص، كما يعمل الاتصال على تحويل المجتمع وتشكيله وبلورة الاتفاق على القضايا والسلوك والحفاظ على التوازن المجتمعي، فلقد تعرضت أعماله في ميدان الاتصال للإهمال وسوء التقديم، مما أدى بالبعض إلى حد القول بأن مؤسسي علم الاجتماع الحديث بما فيهم دوركايم لم يعيروا اهتماما كبيرا بدور وسائل الاعلام في تشكيل المجتمع الحديث حتى في مراحله الأولى.

7- كارل هوفلاند: أحد علماء النفس التجريبي في جامعة "بيل" اهتم بدراسة عوامل تحقيق الاقتناع في وسائل الاعلام، وتواصل إلى عدة عوامل منها: صحة مصدر الموضوع، أهمية الموضوع بالنسبة للمستقبل واتجاهاته نحوه، كما صاغ نظرية منسقة عن الاتصال، ودرس العديد من المشكلات كخطاب أرسطو، ودرس تأثير المصداقية، ومكانة القائم بالاتصال. [1]

سابعا: نظريات علم اجتماع الاتصال

1- النظرية التفاعلية الرمزية: تعتبر التفاعلية الرمزية من أهم نظريات علم اجتماع الاتصال فقد ظهرت في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين على يد العالم جورت هربرت هيد وقد جاءت كمدرسة اجتماعية أمريكية تحاول الربط بين الحياة الداخلية للفرد وبين المجتمع وما ينطوي عليه من نظام قيمي وأحكام قيمية وأخلاقية.

ويتفق علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي على أن الاتصال لم يكن ممكنا دون الاتفاق على معان موحدة للرموز الموجودة بالبيئة ويترتب على هذا الاتفاق تشابه الاستجابات

(1) أيمن علي طه، **علم الاجتماع الإعلامي**، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ت، ص 67-68.